دراما رمضان تفتح ملفات المرأة العربية وإمكانيات تحققها

القاهرة – سلطت دراما رمضان الحالي الضوء على العديد من المواضيع الشائكة التي تهم المجتمع العربي، وتحفل قضايا المرأة هذا العام بنصيب كبير من اهتمام كتاب الدراما الذين تمكنوا من مناقشة أبرز القضايا التي تهم المرأة العربية، محاولين إيجاد حلول درامية لمساعدتها في الحصول على أبسط حقوقها المشروعة، أملا منهم في أن تتحوّل تلك الدراما إلى واقع عملي في المستقبل القريب.

ولعل واحدة من أبرز المشكلات التي تعاني منها المرأة في العالم بأسره، هي قضية العنف الزوجي، ومن خلال أحداث المسلسل المصري "اللي مالوش كبير" نرى كيف تعاني غزل (ياسمين عبدالعزيز) من المعاملة القاسية التي تلقاها من زوجها (خالد الصاوي) من تعنيف وإهانات مستمرة، ما يدفعها إلى الاستنجاد بالشاب سيف الخديوي (أحمد العوضي) الذي يتمكن من حمايتها.

أما "الطاووس" فيناقش قضية التحرش والاغتصاب الذي تتعرّض له بعض الفتيات، متناولا قصة آنسة اسمها أمينة، تجسّد دورها الممثلة المصرية سهر الصايغ، تتعرّض لاغتصاب جماعي بعد تخديرها في حفل زفاف بأحد الفنادق المصرية الشهيرة على يد مجموعة من الشباب ينتمون إلى أسر لها نفوذ اقتصادي ومكانة اجتماعية، ليقوم محام (يجسّد الدور الممثل السوري جمال سليمان) بتبني قضيتها والدفاع عنها!

> قضايا المرأة تحفل في رمضان بنصيب كبير من اهتمام كتاب الدراما الذين تمكنوا من طرحها ومناقشة أبرز مشكلاتها

ويقدّم العمل رسالة واضحة مفادها أن انتهاك الأعراض ليس سببه ملابس المرأة بل سوء تربية المجرم، على اعتبار أن الفتاة ظهرت في المسلسل بملابس محترمة، ورغم ذلك تم اغتصابها.

وفي الدراما التونسية يتعرّض مسلسل "الفوندو" إلى قضية ارتهان المرأة التونسية إلى السلطة الأبوية ونواميس المجتمع، رغم ثقافتها وتحرّرها والمكاسب الحقوقية التي تميّزها عن بنات جنسها من النساء العربيات، وذلك عبر الإشارة إلى تكتم الفتاة بية عن عملية الاغتصاب التي تعرّضت لها من قبل خطيبها بعد انقطاع العلاقة بينهما، وتهديده لها ببعض الصور الحميمية التي جمعت بينهما في أيام الود، الأمر الذي منعها من إخبار والدها المروكي (جسّد الدور كمال التواتي) مذعنة لابتزاز خطيبها، أو بالأحرى لمن كان خطيبها، كي لا يفتضح أمرها.

أما مسلسل "حرقة" فقدّم نموذجا آخر للمرأة المغرّر بها باسم الحب، عبر قصة امرأة عزباء يفارقها حبيبها إلى غير رجعة إثر سماعه بخبر حملها منه، دون بناء. ليطرح العمل بكثير من الألم قضية مسكوتا عنها في المجتمع التونسي، تلك المتعلقة بإشكالية "الأم العزباء" ومدى حقوقها هي وابنها في مجتمع ذكوري، يراها في كل الحالات مذنبة وإن كانت ضحية معسول الكلام.

ونتيجة هذه النظرة الدونية تضطر هالة (جسّدت الدور عائشة بن أحمد) إلى ركوب زوارق الموت المتجهة نحو الضفة الشمالية للمتوسط، وما تعنيه الهجرة غير الشرعية من أخطار لامرأة شارفت على الوضع، لكن ذلك يعدّ عنها أقل إيلاما من نظرة المجتمع إلى الأمهات العازبات.

ويطرح المسلسل الكويتي "أمينة حاف" قضية تعدّد الزوجات في بعض المجتمعات العربية وخاصة في دول الخليج، من خلال شخصية أمينة (إلهام الفضالة)، التي تتزوّج من فارس (شهاب جوهر)، وهو رجل مزواج مرتبط بثلاث زوجات، حتى تصبح الزوجة الرابعة، التي تدخل في مشكلات ومشاحنات مع الزوجات الثلاث الأخريات، في قالب اجتماعي يتطرّق كذلك إلى موضوع تعدّد الزوجات في المجتمعات الخليجية.

وضمن قالب كوميدي تحضر أيضا قضية تعدّد الزوجات في المسلسل اللبناني "نسونجي بالحلال" الذي يجسّد فيه زياد برجي دور المحامي يوسف الذي يجد نفسه مضطرا إلى الامتثال لإجراءات الحجر الصحي في بيت مع ثلاث نساء جميلات هنّ نادين الراسي وهبة نور ورين سبتي، وهو متزوّج من امرأتين ويفكّر في الثالثة، رغم ظروف الحجر الصحي. لتدخل الضرائر في صراعات لا نهاية لها.

وتجسّد منى زكي في "لعبة نيوتن" شخصية هناء، الزوجة ذات الشخصية الضعيفة المهزوزة والاتكالية، التي تخضع تماما لسيطرة زوجها (محمد ممدوح)، ومن ثم تحاول إثبات ذاتها حتى ولو عن طريق اتخاذ قرارات غير مدروسة، وخوض تحديات أكبر من قدراتها، رغبة منها في تحقيق الاستقلالية والتحرّر من سطوة زوجها.

ويناقش المسلسل الكويتي "نبض مؤقت" قضية عدم الإنجاب وتأثيرها النفسي على المرأة، من خلال شخصية طيبة (هيا عبدالسلام)، طبيبة أمراض النساء والعقم، التي تُحرم من الإنجاب، وكيفية تعاملها مع الضرر النفسي والضغوط المجتمعية الواقعة عليها من جراء ذلك.

والقضية ذاتها يطرحها المسلسل المصري "خلي بالك من زيزي"، حيث نرى كيف تعصف الخلافات الزوجية بزينب (أمينة خليل)، بعد فشل محاولتها للإنجاب مجدّدا، وسرعان ما يتطوّر الأمر بينها وبين زوجها (علي قاسم) إلى ساحات القضاء وتصبح زينب أو "زيزي" مهدّدة بخطر بفقدان كل شيء إلى جانب حرمانها من الأمومة.

وتشكّل قضية زواج القاصرات همّا كبيرا للنساء في بعض المجتمعات العربية، وهي الثيمة التي طرحها المسلسل المصري "لحم غزال" للفنانة غادة عبدالرازق، من خلال شخصية شقيقتها شوق (مي سليم)، التي تتزوّج في عمر الـ12 عاما، ثم تنجب ويتوفى زوجها، فيصبح لزاما عليها أن تتحمل مسؤوليات أكبر من سنها.

ويقدّم مسلسل الدراما الصعيدية "نسل الأغراب" قصة جليلة (مي عمر) التي تتزوّج وهي في سن الـ13، لنرى كيف تسبّب زواجها وإنجابها لطفلين وهي في ذلك السن الصغيرة في مشكلات نفسية لا يمكنها التخلص منها بسهولة.

«أمينة حاف» دراما كويتية تطرح قضية تعدد الزوجات

«على صفيح ساخن» دراما اجتماعية تجد طريقها إلى الشاشات العربية

«الكندوش» في المقدمة و«باب الحارة 11» الأوسع انتشارا

الدراما السورية تتجاوز إكراهات السياسة وتعود إلى الفضائيات

بعد سنوات من التراجع في الكم الإنتاجي وانحسار في مساحة العرض على قنوات العالم العربي التلفزيونية عادت الدراما السورية مجدّدا إلى مساحات عرضها التقليدية، من خلال أعمال راوحت بين البيئتين الشامية والاجتماعية، ما يؤشّر على بداية تجاوز الدراما السورية لإكراهات السياسة التي أعاقت انتشارها العربي في العقد الأخير.

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق – حمل الموسم الرمضاني الحالي منذ انطلاقته قبل عشرة أيام العديد من التغيرات التي حكمت شكل ومضمون الدراما العربية عموما والسورية بشكل خاص. فبعد اضطراب في كم الإنتاج وعثرات ترويجية أعاقت حضورها العربي خلال المواسم القليلة الماضية، عادت الدراما السورية لتحقّق في هذا الموسم حضورا قويا امتد على العشرات من القنوات العربية المختلفة. فتمكّن المتلقي العربي من متابعة أعمال الدراما السورية على قنوات من لبنان والخليج والعراق والأردن وسوريا وتونس وغيرها.

حسام تحسين بيك

> «الكندوش» أكثر أعمال البيئة الشامية اقترابا من حقيقتها

خلال سنوات الحرب في سوريا التي بلغت اليوم عشر سنوات، كان معدل الإنتاج السنوي من الأعمال الدرامية يقارب الخمسة والعشرين عملا، وهو تراجع في الكم الإنتاجي الذي فاق الخمسة والثلاثين عملا في مراحل سابقة، وكان عام 2019 الأكثر إنتاجية في العشر سنوات الأخيرة، حيث بلغ واحدا وثلاثين مسلسلا.

أما العام 2021 فقد شهد حجم إنتاج أقل، حيث استقر عند ستة وعشرين عملا خرج عدد منها من السباق الرمضاني في اللحظات الأخيرة. وما يلفت النظر في أعمال الدراما السورية في هذا الموسم، أمران. أولهما، تراجع الكم الإنتاجي الذي عوضه دخول إنتاجات كبرى دائرة العمل. أما الأمر الثاني فهو عودة الدراما السورية للانتشار عربيا بشكل واسع وقوي.

ومن الأعمال التي قدّمتها الدراما السورية هذا الموسم يمكن اعتماد مؤشر الانتشار لتصنيفها إلى عدة فئات. الفئة الأولى لم يتجاوز العرض فيها القنوات السورية المحلية، في حين حقّقت الفئة الثانية انتشارا محدودا على القنوات العربية إضافة إلى القنوات السورية.

أما الثالثة، وهي الأهم، فهي التي حقّقت وجودا قويا على مساحة البث العربي بشكل كامل، ووصل عدد هذه الأعمال إلى ستة. وهناك أعمال لم تعرض إلاّ على منصات التواصل الاجتماعي التي يمكن تصنيفها في شريحة خاصة.

تفوّق البيئة الشامية

فرضت أعمال البيئة الشامية كلمتها على مساحة العرض العربي، فحقّقت أعلى نسب في الانتشار على القنوات العربية خلال الموسم الرمضاني الحالي. وهنا يحضر مسلسل "الكندوش" الذي تصدّت له شركة سورية جديدة، في أولى أعمالها الإنتاجية، وهو عن فكرة وسيناريو للممثل السوري المخضرم حسام تحسين بيك الذي يخوض بدوره أولى تجاربه في كتابة الدراما التلفزيونية.

وقد رصدت الشركة للعمل ميزانية ضخمة قيل إنها الأكبر في تاريخ الدراما السورية وشارك فيه نجوم سوريون كبار، منهم أيمن زيدان وسلاف فواخرجي وأيمن رضا وفايز قزق وشكران مرتجى وكندا حنا وسامية الجزائري وصباح الجزائري وآخرون.

والمسلسل الذي يخرجه سمير حسين استطاع أن يصل من خلال عملية ترويج مدروسة للعرض في ست عشرة قناة تلفزيونية وبعض منصات الإنترنت. وهو رقم غير مسبوق في تاريخ الدراما السورية. فالعمل يعرض حاليا على قنوات سورية وخليجية وعراقية وأردنية ولبنانية، منها "سما" و"قطر" و"الفجيرة" و"الشلال" و"دراما سورية" و"دبي" و"الفلوجة" و"آسيا" و"روتانا دراما" و"الشارقة" و"الشرقية" و"لنا" و"الظفرة" وغيرها، كما يعرض على منصتي "وياك" و"أوان".

ويعالج العمل فترة هامة من تاريخ مدينة دمشق في مرحلة ثلاثينات القرن الماضي بما تحمله من صراعات اجتماعية، وهو كما أكّد كاتبه "أكثر أعمال البيئة الشامية اقترابا من حقيقتها".

وحقّق مسلسل "على صفيح ساخن" من بطولة كل من باسم ياخور وسلوم حداد وأمل بوشوشة وعبدالمنعم عمايري وسمر سامي، وجودا على عشر قنوات تلفزيونية هي "دراما سورية" و"الفضائية السورية" و"روتانا دراما" و"عمان" و"لنا" و"أبوظبي دراما" و"الرشيد" و"فلسطين" و"سما" و"آل. بي.سي. سات". وهو بذلك يحل في مرتبة الوصيف من حيث سعة الانتشار على القنوات العربية.

كذلك حقّق مسلسل "حارة القبة" وجودا قويا على العديد من قنوات العرض العربية، وهو المسلسل الذي يتألف من خمسة أجزاء، عن نص لأسامة كوكش وإخراج رشا شربتجي في تناول نادر منها للبيئة الشامية، ومشاركة نجوم كبار في الفن السوري أهمهم: عباس النوري وسلافة معمار ونادين خوري وخالد القيش ومحمد حداقي وفادي صبيح ونادين تحسين بيك. ويعرض المسلسل على خمس قنوات، هي "دبي" و"رؤيا" و"دراما سورية" و"الفضائية السورية" و"آي.آر.تي حكايات".

أما مسلسل "باب الحارة" في جزئه الحادي عشر، والذي يقدّم ملامح من الحياة الدمشقية في أربعينات القرن الماضي، تأليف مروان قاووق وإخراج محمد زهير رجب فيعرض على قنوات "دراما سورية" و"الفضائية السورية" و"الجديد" و"الشاهد" و"دجلة" و"أن. بي.أن"، ويشارك به نجاح سفكوني وسلمى المصري وزهير رمضان وتيسير أدريس وهدى شعراوي.

ولم يغب مسلسل "سوق الحرير" في جزئه الثاني عن مساحة العرض القوية من خلال عرضه على قناة "أم.بي.سي" و"أم.بي.سي العراق" و"دراما سورية" ومنصة "شاهد" واسعة الانتشار. والعمل عن نص جماعي لكل من حنان المهرجي وسيف رضا حامد ويزن الداهوك وأخرجه المثنى صبح وشارك فيه عدد كبير من نجوم الدراما السورية على غرار: بسام كوسا وسلوم حداد وكاريس بشار ونادين تحسين بك وفادي صبيح ووفاء موصلي وعبدالهادي الصباغ ويزن خليل.

وكان للجانب الاجتماعي حضور قوي أيضا من خلال مسلسل "خريف العشاق" الذي كتبته ديانا جبور وأخرجه السينمائي جود سعيد في ثاني تجاربه في الدراما التلفزيونية بعد مسلسل "أحمر" قبل سنوات، وشارك في بطولته كل من صفاء سلطان والأخوين محمد وأحمد الأحمد وحسين عباس ولجين إسماعيل، وهو يعرض حاليا على قنوات "الفضائية السورية" و"لنا" و"دراما سورية" و"الظفرة" و"زي ألوان".

خفوت البريق

شهدت الدراما السورية بوادر انتشارها في العالم العربي مع مرحلة التأسيس، أي منذ بداية ستينات القرن الماضي، وذلك عبر بعض الأعمال الفردية التي حقّقت رواجا كبيرا حينها، وكان أحد أهم هذه الأعمال مسلسل "صح النوم" الذي كتبه نهاد قلعي وأخرجه خلدون المالح وقام بأداء البطولة فيه الثنائي نهاد قلعي ودريد لحام.

ورغم معرفة الجمهور العربي بالدراما السورية وتأثره باللهجة المحكية الشامية تحديدا، إلا أن هذه الدراما لم تحقّق الرواج الكبير والنادر الذي كان لها في بداية تسعينات القرن الماضي مع نشوء عصر الفضائيات العربية وتعدّد القنوات العارضة، والتي باتت مستهلكا كبيرا لمسلسلات عربية طويلة كانت منبرا للقنوات في شد جماهير المتلقين إليها.

وكان ملفتا للنظر الأداء السوري المختلف والمحترف لبعض أنواع الدراما، خاصة التاريخية، وصارت بعض القامات الفنية فيها مختصة بهذا الشكل الفني. كذلك أعمال الكوميديا والكثير من الأعمال الاجتماعية.

> الأعمال التي قدمتها الدراما السورية في رمضان تنقسم إلى ثلاث فئات من حيث الانتشار، محلية وعربية وأخرى على الواب

وتسابقت قنوات البث العربي على استحواذ المسلسلات السورية، ونشأت بين بعض هذه القنوات خاصة الخليجية وبين شركات الإنتاج الفني السورية شراكات فنية امتدت لسنوات طويلة أثمرت العشرات من المسلسلات الهامة، حيث تقوم هذه القنوات بإنتاج أعمال لصالحها في الدراما السورية، ثم تقوم بالترويج لها، وتحقّق من خلال ذلك مكاسب فنية ومالية كبرى.

على أن هزة عنيفة أصابت الدراما السورية خلال سنوات ما بعد 2008، حيث لعبت السياسة دورا هاما في ابتعاد بعض القنوات عن المنتج الدرامي السوري واستبداله بالعديد من الخيارات الأخرى. وفاقمت الحرب من أزمة الدراما السورية، وما رافقها من وضع سياسي مأزوم، سد طريق التواصل الفني مع الكثير من الشركاء في العالم العربي، وهذا ما عزل الدراما السورية أكثر، وباتت الإنتاجات السورية حبيسة قنوات البث السورية وبعض القنوات اللبنانية والعراقية والمغاربية.

وغابت الدراما السورية عن القنوات الخليجية بشكل شبه تام خلال العشرية الأخيرة، وهي التي كانت شريكة العروض الكبرى سابقا، لكن الأمور بدأت بالتغير تدريجيا نحو العودة إلى سالف عهدها، وتجلى ذلك في الوجود الدرامي السوري القوي على الشاشات العربية في الموسم الحالي.